



الهيمنة الجندرية في الدراسات ما بعد الكولونيالية - مقارنة ثقافية نسوية -

Gender Hegemony in Postcolonial Studies - A Feminist Cultural Approach-

شيهب أسماء *

مخبر التمثلات الفكرية والثقافية. جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: asma.chiheb@umtmo.dz

تاريخ النشر
2025/06/01

تاريخ القبول
2025/03/02

تاريخ الإيداع
2024/12/04

الملخص: تسعى هذه الدراسة للوقوف عند أهم القضايا التي برزت من ثنائية الذكورة والأنوثة في علاقتها بمفهوم الجندر من خلال ما قدمته الدراسات ما بعد الكولونيالية من إضافات وما سعى إليه النقد النسوي إليه في إمطة اللثام عن الكثير من المركزية أو البديهيات التي حكمت المجتمع برهة من الزمن. عبر المقارنة الثقافية النسوية حاولنا أن نبين عقدة تبعية المرأة للرجل وهي أهم ما سعى النقد النسوي إلى تدوينه في مسعى منه إلى التأسيس للجندر ومحاولة الدعوة إلى إزالة كل الفروقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، اخترنا مجموعة من النصوص الروائية العربية التي كانت النموذج في استخراج مظاهر الهيمنة وأهم ما انتجته من قضايا العنف والهيمنة الأبوية على المرأة، كرواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق، بغايا وصبايا لهدى عيد، ثم عرجنا للحديث عن الأخلاق والحجاب كأساسين في المجتمع العربي والطريقة التي أخذ بها مفهوم الأخلاق في نظر نوال السعداوي وليؤسس ويكفل للرجل هيمنته على المرأة وتكريس السيطرة، وهذا أهم ما توصي به الدراسة في مواصلة البحث عن تمثلاته في المجتمع العربي.

الكلمات المفتاحية: جندر؛ نقد نسوي؛ هيمنة؛ عنف أبوي

Abstract: This study aims to examine the key issues that have emerged from the male-female binary in relation to the concept of gender, through the contributions of postcolonial studies and the efforts of feminist criticism to uncover many of the centralities or assumptions that have governed society for a period of time. Through a feminist cultural approach, we sought to highlight the issue of women's subordination to men—one of the central concerns of feminist criticism, which aims to

* المؤلف المرسل

dissolve this hierarchy in order to establish the concept of gender and advocate for the elimination of all social differences between men and women.

To achieve this, we selected a collection of Arabic novels that serve as models for examining manifestations of dominance, particularly issues of violence and patriarchal authority over women. These include *Taa' Al-Khajal* by Fadila Al-Farouk and *Baghaya wa Sabaya* by Huda Eid. We then delved into the themes of morality and the veil as fundamental pillars of Arab society, analyzing how the concept of morality, as perceived by Nawal El Saadawi, has been used to reinforce male dominance and institutionalize control over women. This study ultimately recommends further exploration of these representations in Arab society

Keywords : gender, feminist critique; hegemony; paternal violence

مقدمة:

يُعرف القّد مابعد الكولونيالي بطابعه الجامع لكل الإيديولوجيات والمركزيات المهيمنة المكرسة والدعوى إلى الاهتمام بقضايا الأقليات ومناهضتها ونصرة المهيمنين والمضطهدين وإعادة الوجود لهم بعدما عمل الغرب الإمبريالي على قمعها وطمس هُوياتها، وُصطلح مابعد كولونيالي يتجاوز الإشارة إلى الطابع الزمني الذي يُراد به الفترة التي أعقبت الاستقلال، وما بعد الكولونيالية تتحرر من الطابع الزمني لأنها نظرية تؤمن باستمرار الاستعمار حتى بعد الاستقلال السياسي والعسكري وبالتالي تُحاول استتطاق المسكوت عنه وتفكيك الخطابات المُكونة حول الآخر، الدونية وما يُشكك في ثقافته التي عاشت وطأة الاستعمار، فهو يستوعب نصوصاً وخطابات تعوّن عن العرق الذاتية، القمع، التابع، النسوية الخ، لتكون الآداب ما بعد الكولونيالية مركزةً على مساءلة السلطة وتفكيك الخطاب الاستعماري. وقد شكّلت قضية المرأة محوراً أساسياً في الدراسات القّدية مابعد الكولونيالية التي تمكنت من رصد قضاياها وهمومها بالحب والجنس والتمرد فكانت الكتابة النسوية أحد أهم الوسائل للتعبير عن رغبتها في الوجود وإثبات كيانها والدفاع عن كل هويتها المسلوبة. استطاعت الرواية النسوية مواكبة ما هو مستجد في الساحة الثقافية أتاحت بذلك للمرأة الفرصة أن تُحاكي واقعها وتعكس وضعه المتأزم من الناحية الاجتماعية السياسية الثقافية والظروف التي عملت دوماً على تهميشها والتقليل من شأنها داخل مجتمع ذكوري

سلبها حقها في التعبير، فبرزت في الساحة الثقافية نسويات باحثات طالبن بنصرة المرأة ورفض كل ما هو منسوب إليها من دونية وتهميش فلجأت المرأة إلى الكتابة والقول بما كان مكتوماً عنه مدةً من الزمن بشكلٍ أدبي جديد عُف بالرواية النسوية.

أردنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على القضايا الأساسية المُشكلة للحركة النسوية الأدبية في الدراسات ما بعد الكولونيالية باعتباره الحقل الذي انبثقت منه الثورات على المركزيات والثنائيات الكبرى، فكان للمرأة النصيب في أن أعلنت رفضها على السلطة الذكورية الممارسة عليها وما نتج عنها من تغييب لدورها الأساسي والمهم في التنشئة الاجتماعية والثقافية ومنح كل الحظوظ للذكر.

بناءً على ما سبق ذكره، يسعى بحثنا إلى الخوض في قضية الهيمنة الذكورية والجنדר وما نتج عنهما من فهم خاطئ للثنائي الرجل والمرأة ومحاولة تصحيح موازين العلاقة في سبيل التخلص من الفروقات الاجتماعية والبيولوجية. لمسنا عدة مظاهر أنتجها مفهوم الهيمنة على المرأة أبرزها الهيمنة الذكورية، الأبوية والعنف، وكان السبيل لفهمها ومقاربتها ثقافياً، العودة لمجموعة من النصوص الأدبية العربية المختلفة لنخوض مجال المقاربة النسوية في مفاهيم الدراسات ما بعد الكولونيالية وما أنتجت معادلة الجندر والهيمنة من قضايا، وعطفاً على ما سبق تكون إشكاليتنا البحثية والتي مفادها كيف برزت قضية الجندر مُقترنة بالهيمنة في الدراسات ما بعد الكولونيالية؟ انبثقت عنها تساؤلات أخرى أبرزها: ماهي أهم قضايا التي نتجت عن الفروقات بين النوع الاجتماعي والبيولوجي للرجل والمرأة؟ كيف أفرزت مشكلة الجندر قضاياها في النقد النسوي؟ أين تتجلى لنا مظاهر الهيمنة من خلال إشكالية النوع في الدراسات ما بعد الكولونيالية؟

كان من بين أهم القضايا التي تطرقنا إليها الاغتصاب، الضرب، العنف الأبوي، متّبعين تحليلاتها في بعض النماذج الروائية النسائية، وقع اختيارنا على رواية تاء الخجل "الفضيلة الفاروق، ورواية بغايا وسلطان للكاتبة اللبنانية "هدى عيد"، وعمدنا إلى استخراج

مظاهر العنف والسلطة الذكورية الممارسة ضد المرأة في الروايات السابق ذكرها، وتحليلها تحليلًا سوسيوثقافياً يعكس موقف المرأة من كل ما تتعرض له من دونية، ثم انتقلنا للحديث عن الأخلاق والحجاب وما نتج عنهما من مد وجزر في المجتمع العربي حول حرية الرجل مقارنة بالمرأة فيما ارتبط بالأخلاق متعرضين لموقف "توال السعداوي" و"فاطمة المرنيسي" في هذا الموضوع.

وكأي بحث علمي لابد من فرضيات سابقة يقوم من خلالها، افترضنا منطقياً أن التفسير البيولوجي للنوع أسس لمفاهيم مرتبطة بعلاقة بين المرأة والرجل وفق الخصائص السوسيوثقافية التي أنتجت توجهاً فكرياً يجعل الرجل في منزلة أعلى من المرأة انطلاقاً من أحكام قبلية خاصة بالجنس.

نفترض ثانياً بأن الدراسات النسوية استطاعت فتح باب النقاش والتساؤل حول توجه التفاسير الاجتماعية بخصوص النوع وما يترتب عنه من علاقة بين الرجل والمرأة.

1. المجال الثقافي للجندر:

استفادت النسوية باعتبارها المهاد المؤسس لقضايا الهيمنة والجندر من النظرية مابعد الكولونيالية واعتبرتها آلية تفكيكية للخطابات الذكورية التي قيدت الأنثى الهامش بمقابل الفحولة أو الرجل المركز، باعتبار الرجل الأصل والمرأة هي الفرع، وإذا اعتبرنا أن النظرية مابعد الكولونيالية تسعى لاسترجاع ثقافة المستعمر وهويته قبل تعرضه للاستعمار فأى من هاذين الاثنين (الثقافة، الهوية) تحاول النسوية استرجاعها باعتبار أن المرأة ونظرة الدونية إليها مكرسة في أقدم المعتقدات الدينية، وأبرز خطاب سائد يدين المرأة أنها من أخرجت آدم من الجنة وفي هذا السياق نجد الباحثة "آنيا لومبا" من خلال كتابها في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية" ترى أنه بإمكاننا مقارنة الإمبريالية مع النظام الأبوي في الفكر النسوي للذي يمكن تطبيقه إلى الدرجة التي يظهر فيها هيمنة الذكر على النساء إلا أن ايديولوجيات الهيمنة الذكورية وممارستها متنوعة تاريخياً وجغرافياً وثقافياً» (لومبا، 2007

صفحة 32) بمعنى: تغير موازين الثقافة من مجتمع لآخر يتغير وفقاً له وجهات النظر، فالمرأة في المجتمع الأوروبي تختلف عن غيرها، والمرأة التي نشأت في المدينة يختلف وضعها عن المرأة الريفية، وبالتالي فأشكال الاضطهاد الذكوري والفكر الأبوي المهيمن متغير ويتغير باستمرار عبر تاريخ الثقافة الطويل الذي يجعل من المرأة دائماً ذاتاً غائبة.

تستفيد النسوية كذلك من طروحات دراسات التابع مع أبرز روادها "غياتري سبيفاك" أحد أهم أقطاب النسوية بمقالها الشهير "هل يستطيع التابع أن يتكلم"، مصطلح التابع تستعيده من المفكر الماركسي "أنطونيو غرامشي" في حديثه عن العمالة الريفية والبروليتاريا من خلاله بدأ الحديث عن وضع النساء في العالم، كانت البداية الفعلية كرفض استمرار القمع والتهميش الممارس ضد المرأة من ذاتها كامرأة مُورست عليها السلطة والولاء للنظام البطريكي، حيث انطلقت من إثارة الجدل حول الطقوس والممارسات الثقافية الغريبة التي تعيشها المرأة الهندية «وهو طقس "ساتي" (حرق الأرامل عند الهندوس في أوائل القرن التاسع عشر في الهند» (مناقشات، 2023، صفحة 31) فمقال "سبيفاك" هل يستطيع التابع أن يتكلم جاء متسائلاً مشككاً على قدرة التابع والمهمش والمضطهد استرجاع حقوقه الطبيعية بدل استمرار تغييبه وما يتعرض له من اختراقات، والدراسات مابعد الكولونيالية تحاول في الشيء نفسه تدعو إلى إنقاذ واسترجاع الفئات المقهورة التي عانت من الاستعمار الجديد.

إن ما ركزت عليه "سبيفاك" وحاولت تغيير نظام اشتغاله هو تبعية المرأة للذكورة بكل تراتبياتها سواء الأب أو الأخ أو الزوج أو حتى الصديق، بحيث ترى أن المرأة صوتٌ يعيش في منظومة سوسيوثقافية تفرض هذا النمط من الهيمنة وهي تمثل الآلاف من النساء الرافضين لهذا التوجه الناتج عن الأنظمة الاجتماعية المختلفة «فإنها متنقلة من عشيرة إلى عائلة كابنة كأخت كزوجة كأم هذه الصورة تمثل استمرارية الأبوية في نفس الوقت الذي تُحرم فيه المرأة ذاتها من الهوية الحقيقية» (سبيفاك، 1988، صفحة 22) بمعنى: أن هوية الذكر المبنوثة والحاضرة دائماً وباستمرار في المجتمع هي إلغاءً لهوية الجنس الآخر (المرأة)،

وهذه الإشكالية تراها "سبيفاك" بنية ثقافية متجذرة يصعب الانفلات منها لتشكّلها وانبثاقها المستمر في الثقافات المختلفة في العالم بأسره.

من خلال ما سبق نستطيع القول: إنّ الكتابات النسوية "تحاول مواجهة الواقع بكل معادلاته المفروضة من خلال اختياراتها لنوع من الخطابات التي من شأنها تقويض الذات الهامشية وإبرازها للعلن وتمكين صورة وصوت المرأة في أن يصبح صوتاً ظاهراً ومسموعاً بالدرجة الأولى، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد الكاتبة "رضوى عاشور" اختارت صيغة التابع ينهض عنواناً لكتابها الذي قاربت من خلاله رواية "غرب إفريقيا" متحدثة من خلاله عن موقع المرأة المتجاوزة لصراع الذكورة والأنوثة ومحاولة إنصاف الأقليات المضطهدة وهذا ما تحاول النسوية ما بعد الكولونيالية تحقيقه عن طريق نظالها في مجال "المابعديات".

1.1 الجندر ومحاولة تصحيح العلاقة بين المرأة والرجل:

إنّ بروز قضية الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الدراسات النسوية يضعنا أمام حقيقة واقعية نعيش من خلالها كما صرحت "سيمون دي بوفوار" «المرأة لا تولد امرأة بل تصير كذلك» (دي بوفوار 1997، صفحة 33) فهي تُشير إلى دور الثقافة والتنشئة الاجتماعية في تشكيل الصور المختلفة عن الذات والآخر وكأنّ المرأة تولد بخصوصيات تختزلها لها التجارب الاجتماعية فهي التي تحدّد ما يناسب هذا النوع مقارنةً بالّونع الآخر وبالتالي المرأة حينما تخضع في تشكيل ذاتها إلى أنساق اجتماعية متعدّدة ستختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، ليعتدّل معها موقف النوع الآخر منها بمعنى: كل مجتمع كيف يصنعُ صورة ومكانة المرأة بالنسبة للنوع الآخر، لنكون أمام نتيجة تقرّ بأنّ صورة المرأة كونها أنثى تشكّلها الثقافة وليس الاختلاف البيولوجي.

حاولت النسوية معالجة الرؤية المتجذرة في اللاوعي الإنساني والداعية للمساواة بين الرجل والمرأة من منطلق نفسي جديد من شأنه خلق الوعي بالذات الأنثوية بعيداً عن كونها هامشاً وبداية الاحتجاج ومساءلة الثقافة التي خلفت هذا النوع من التصنيف، دعت عبر

منطلقاتها أن توضع المرأة بمقابل الرجل انطلاقاً من مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات وكأنها أخرجت المرأة من ذاتها الحقيقية لتدخلها إلى ذات أخرى، وبالتالي تفقد المرأة ذاتها كونها امرأة تأبى إلا أن تتساوى مع الرجل وهنا ستدخل المرأة في مركزية جديدة أو هي إعادة إنتاج ذهنية جديدة وإن كانت النسوية تطرح مفهوم "الجندر" أو النوع الاجتماعي لتتجاوز هذه الإشكالية.

الجندر هو «عملية دراسة العلاقات المتداخلة بين الرجل والمرأة في المجتمع وتحدد هذه العلاقات وتحكمها عوامل مختلفة اقتصادية اجتماعية وثقافية» (شكر، 2002، صفحة 50) يحاول الجندر كآلية ثقافية تحديد نوع هذه العلاقات من خلال محاولة خلق مجال للتكافؤ بين الجنسين «فالفرق البيولوجي بين الجنسين لا يعني التفوق الاجتماعي لجنس على آخر ولا يبرر استغلال جنس لآخر» (السباعي، 2023، صفحة 273) بمعنى: أن الميزة الذكورية للرجل لا تجعله مميزاً عن المرأة انطلاقاً من صفاته الفحولية ولا يُعطيه الحق في ممارسة أي قوة أو أي سلطة ضد الجنس الأنثوي من منطلق القوة أو الأكثر قدرة، ودراسة العلاقات المهيمنة تقوم بتفكيك الخطابات والممارسات للثقافة التي تفرض هذا نوع من السلطة الأبوية التي يراها "ميشال فوكو" تسعى إلى أن يتخلى الجنس عن ذاته عن طريق التهديد أو العقاب إما بالبقاء وفق شروط أو الغياب...تخلى عن نفسك بنفسك تحت طائلة أن تزول ولا تظهر إذا أردت أن لا تمحي فلن يدوم وجودك إلا بضمن إلغائك» (فوكو، دون تاريخ، صفحة 69) بمعنى: الراهن الذي تعيشه هو نتيجة لخطاب تكرسه حول ذاتها باعتبارها جنساً خاضعاً بالضرورة للسلطة الأبوية التي اشتغلت على الفطرة السليمة للمرأة في تكريس دونيتها ضمن مجموع الأطر الاجتماعية الثقافية السائدة وهذه السلطة تأتي من الزواج الأسرة والمؤسسات التعليمية، والجندر بالمقابل يطرح قضية الاختلاف والعرق والطبقة «باعتبار أن العرق والنوع والجنس ليست أشياء تُضاف إلى بعضها البعض ولكنها تعمل وتتطور معاً» (لومبا، 2007، 32) بمعنى: الجندر يبحث في المفاهيم الكبرى المؤسسة

للاختلافات الإنسانية من عرق وطبقة وجنس يدرسها في علاقاتها ببعضها البعض كيف تتداخل لتشكّل منظومة فكرية ثقافية تختلف باختلاف المجتمعات وطريقة النظر في هذه المركزية متجاوزاً بذلك إشكالية الاختلاف البيولوجي بين الجنسين (الذكر والأنثى) فما ينشأ من علاقات بين هذين النوعين يراه أعمق وأبعد من أن يُفسر تفسيراً بيولوجياً وكفى.

ناقشت النسوية إشكالات الهوية باعتبار أنّ المرأة كيّان متفرد له استقلالته عن الرجل فهي تحاول تجاوز التمرکز الذكوري والخطابات التي رسخت تبعيّة المرأة وهامشيتها وتفوق الذكر والدعوى إلى التخلّص من كل الترسّبات الثقافية التي نقشها النظام الأبوي في نفسها « إنّ قدرة الرجال على أن يُمز إلى الكوني المطلق المتعالي إنما تعتمد على الارتباط المستمر للأنثوية بالاختلاف والآخرية والدونية» (إيغلتن 2016، صفحة 70) وفهذا النظام الأبوي يثبت وجوده من خلال دونية المرأة وقبولها للوضع الذي نُسبت إليه من قبل الأنظمة المجتمعية السائدة.

2.1 قضايا الجندر ومسألة الهوية:

شهدت الحركة النسوية في القرن الماضي تطوراً صاحب التطور على مستوى الخطاب الكولونيالي المصاحب لها بجمع كل القضايا والمسائل المتعلقة بحقوق المرأة التي دعت من خلاله إلى المساواة المطلقة مع الرجل. والمتتبع لحديثات ومضامين الخطاب النسوي يلاحظ أنه يركز على مصوغات عدّة أبرزها ما تتعرض له المرأة من ظلم وعنف وتعذيب للهوية الأنثوية في حضور شبح الذكورة والهيمنة الرجولية الممارسة عليها ثقافياً، اجتماعياً، نفسياً وحتى جسدياً ما يجعلها في تبعيّة مستمرة للرجل لاعتبارات عدّة.

سنحاول في هذا الجزء الخوض في فرضيتنا القائلة بأنّ الفوع والترتيبات الاجتماعية الناتجة عنه بخصوص المرأة والرجل ساهم بصفة آلية في خلق تبعيّة فكرية ثقافية واجتماعية للمرأة تجاه الرجل انطلاقاً من أسباب سياسية تاريخية وحتى دينية.

1.2.1 قضية العنف الذكوري والهيمنة الأبوية على المرأة.

اتخذ العنف ضد المرأة مظهرًا شتّى كالعنف المادي والثقافي والنفسي واللغوي والإيديولوجي والجنسي والديني، الذي يستتر وراء منظومة ثقافية واجتماعية تبدو عادية لكنها شكّلت وتشكّل خطورة حقيقية حول هوية المرأة بصفة عامة والمرأة العربية بوجه الخصوص، واعتبر الخطاب الروائي النسوي نموذجًا أدبيًا يعكس واقع ما تواجهه الأنثى كامرأة كمرافقة كأم كزوجة كمطلقة كأرملة من عنفٍ ساهم في تشكيل نسق ثقافي يرسّخ الهيمنة والسلطة الذكورية، ويجعلها تابعة للرجل في جميع مراحلها العمرية (بنت، أخت، زوجة، أم)، وشكّل موضوع العنف في الدراسات الثقافية التي فتحت الباب على واقع المرأة محورًا مهمًا للكثير من النشاطات النسويات العربيات على اختلاف توجهاتهم نذكر "فاطمة المريني" و"نوال السعداوي" اللتان وحتى وإن اختلفت منطلقاتهما إلا أنهما يجتمعان في الدفاع عن المرأة والسعي إلى استرجاع مكانتها وضمان هويتها أمام الرجل.

2.2.1 العنف الأبوي:

إن الحديث عن العنف المتعمد والمألوف من الأب والأخ يلامس تاريخ العلاقات بين كل رجل وامرأة، فالكثير من النساء يعشن في فضاء أسري مليء بالاضطهاد والقمع والعنف بكل أشكاله، ولا تكون البنت أو الزوجة تعيش الأمان والاستقرار الأسري فنجدها متأهبة دائمًا لمواجهة للمواقف التي تتعرض لها من أفراد عائلتها، لكن يبقى رفضها لما تعيشه لا يـُساوي شيئًا أمام كل المعاناة التي تعيشها، فردة فعلها في أغلب الأحيان تكون إما بالصراخ أو البكاء الذي لا يـُجدي نفعًا سوى أنه يـُشبع غرور الرجل بقوته وسلطته عليها سواء كان الأب الأخ وحتى الزوج. «أخبرني الضابط أن أهلي رفضوا استقبالي من جديد... أنكر في البداية أن له بنتًا» (الفاروق 2002، صفحة 76) يستتر وراء تكرار الأب لوجود ابنته ثقافة ذكورية تحط من قيمة الأنثى وتُلغي وجودها، فهذا الأب بمجرد تذكره أن ابنته أُختطفَت واغتصبت وما ينتظره من مبررات في محيطه المتعصب الذي يولي أهمية كبرى لعذرية الفتاة، العذرية

التي تكون فوق أي اعتبار فعذرية المرأة هي شرفها وأخلاقها الحسنة فلا يهم الطريقة أو الظروف التي أفقدتها هذه العذرية فالمعادلة تقول امرأة بلا عذرية امرأة بلا حياة. أما في رواية اكتشاف شهوة تنقنا "فضيلة الفاروق" من جو النكران الأبوي إلى جو السلطة والقمع الأخوي عبر البطلة "باني" التي أوجدها القدر في أسرة مليئة بالقسوة والعنف الجسدي الذي لاحقها منذ نعومة أظافرها، تحكي لنا الرواية عن باني التي كان يُصيها الأرق منذ السن الرابع عشر خوفاً من أخيها الذي وجدها مع أبناء الحي تتبادل أطراف الحديث تقول البطلة «عاد إلى البيت هائجا كثور مجنون وأضرم النار في سريري...وقد وقف والذي أما فعلته مديد القامة فخوراً وقال في المرة القادمة عليك أن تحرق السرير حين تكون نائمة عليه» (الفاروق، 2002 صفحة 14) فتوظيف الكاتب لهذه الصفات إشارةً منها إلى أن العنف سلوك غير إنساني ليس من الطبيعة البشرية فكان الثور الهائج أصدق تعبير لحالة أخيها.

لقد عمدت الرواية إلى إبراز نموذج من السلطة والأبوية الممارسة ضد الأنثى فالرجل يُمارس عنفه مع الأنثى باختلاف من تكون، الأم، الأخت، الزوجة وحتى الغريبات عنه، وهذه الظاهرة استفحلت في المجتمعات العربية المُشجعة إن صح لنا قول ذلك على الهيمنة الذكورية بكل مستوياتها حينما تُصبح الأم والبنت والأخت والزوجة والمطلقة والأرملة مجرد جسد شهواني أو مجرد سلعة انتهت صلاحيتها ليستبدلها بسلعة أخرى.

2. العنف الذكوري "الجسدي".

تناولت الرواية العربية عبر نصوصها هواجس المجتمع وقضاياها وتطرق إلى الوطن المستعمر الرجل المستبد، والمرأة المغتصبة والمرأة المطلقة، وقد حضيت قضية المرأة باهتمام وتسائل كبيرين أعلنت من خلاله المرأة الكاتبة ثورتها على الهيمنة الذكورية والممارسات العنيفة كما هو متجلى فيما اخترناه من نصوص تتجّ بالممارسات العنيفة، كاختراق حرمة جسد المرأة بالتحرش والاغتصاب، وفي بعض الأحيان تصل معاناة المرأة

إلى إزهاق روحها «قتل الأنثى هو المسلمة الختامية لثقافة أبوية ذكورية راسخة تغلغت في ثنايا الفكر» (عبد الله، 2002، الصفحة 23) فالمشاعر السلبية التي تحملها العادات والتقاليد والممارسات الشعبية ضدّ النساء تعكس خلل التوازن القائم على مستوى علاقة الرجل بالأنثى التي لخصتها مجموعة من السلوكيات.

1.2 الضرب، الاغتصاب، القتل:

لخصت لنا "فضيلة الفاروق" في روايتها "تاء الخجل" جرائم الرجل حيث عمدت إلى تعريته وكشف جرائمه في حق المرأة والمجتمع بصورةً إيّاه كنموذج دموي وحشي، نجدها تتكلم عن الرجل الإرهابي هذه الفئة التي أشعلت مدة من الزمن هاجساً في المجتمع الجزائري إلا أن معاناة المرأة معه كانت مختلفة لىختلف معه أساليب العنف والاستبداد الممارس ضدها من اختطاف وتعذيب واغتصاب وقتل.

تروي لنا "يمينة" تفاصيل اختطافها ومعاناة أمها جراء ذلك، ليكون العنف مشهداً تحضر فيه المرأة كأم والمرأة كبنت تقول الكاتبة على لسان "أم يمينة" «ليلتها جاء الإرهابيون عندنا توسلت إليهم قبلت أرجلهم أن يتركوني ولكن أحدهم ضربها ببندقيته على رأسها وسقطت... آثار تعذيب، خدوش وبقايا جروح...» (الفاروق 2002، صفحة 18) تعددت صور العنف التي خلفها الإرهاب في ذاكرة ضحاياه، ولكن كانت المرأة المتضرر الأكبر من وطأ الإرهابي الرجل الذي مارس عليها العنف كونها فرداً من مجتمع هو يرفضه، وكونها أنثى تُغري شهوته الحيوانية ليراها فريسة يتفق في تعذيبها والتلذذ باغتصابها وهذا أقل ما يمكن أن تحمله الكلمات من وصفٍ لحجم الرعب والمعاناة التي نقلتها إلينا فضيلة الفاروق في حديثها عن الذكر الإرهابي وتعنيفه للمرأة.

2.2 الاغتصاب.

تزداد صورة الرجل بشاعةً في بعض النصوص، نتقلنا رواية "سلطان وبغايا" إلى عالم آخر تبرز فيه عنف الرجل، فقصة "حسيبة" تنقل لنا بل وتصور الجانب المظلم من المجتمع اللبناني المجتمع الذي تتعدم فيه الأخلاق وجراء السلوكات اللاإنسانية كما وصفته الرواية. جمعت "حسيبة" علاقات متعددة بالرجل كانت علاقة عدوانية أساسها الاضطهاد بدءاً بالوالد الذي تخلى عنها كما تخلى عن والدتها سابقاً لخدمة سيده العميد وهي دون سن الخامسة عشر.

تعرضت "حسيبة" وهي في عمر الطفولة إلى التحرشات الجنسية والاغتصاب الذي كان يُطالبها به العميد نفسه ومعه ابنه المدلل وسكان الحي كذلك... يقول أحد جيرانها: «تعرض حسيبة المسكينة كل يوم للضرب حتى أصبح الجيران يُحرمون النوم بسبب صراخها وعويلها... كلما انفرد بها أحدهم أنهال عليها ضرباً وركلاً» (عيد، 2016، صفحة، 96). معظم الألفاظ الموجودة في هذا الخطاب يُشير إلى قِمة الألم والعذاب الذي يكشف لنا عمق المأساة التي تعرضت له الطفلة والكاتبة، قصدت إلى تكرار كلمة العنف والاغتصاب والضرب في محاولة منها تأكيد على معاناة المرأة منددةً به مستتكرةً له ساعيةً إلى تعرية الواقع المزري للنساء، وداعية من خلال كتابتها إلى الدفاع عن قيمة المرأة عبر خاصية لغوية شعورية عالجت بها قضية الهيمنة الذكورية. من جهة أخرى، رصدت لنا الكاتبة "هدى عبير" صوراً مختلفةً لتعنيف المرأة واستغلالها الجسدي فتطرقَت إلى قضية الدعارة في لبنان وكيف يتم اختطاف الطالبات وتخديرهن من أجل اغتصابهن هدف المتاجرة بأجسادهن، تقول إحدى الضحايا: «كنت أنا من نصيب سلطان بالدرجة الأولى فريسته التي اصطادها يفعل بها ما يشاء حتى يؤجرها لسواه... أجبرني مرتين على الإجهاض...» (عيد 2016، 25). الأنتى هنا أصبحت جماداً غير قادر على الدفاع عن نفسها وأصبحت مجرد سلعة تُباع وتُشتري بأرخص الأثمان مقابل المتعة وإطفاء شهوة الجنس، والأسلوب الإبداعي الساخر

الذي اعتمدته "هدى عبير" كان كفيلاً بأن يوصل لنا حجم الاستياء والاشمئزاز من الوضع الراهن الذي نقلته لنا عبر عوالم الرواية المتشعبة بكل أنواع العنف الجنسي القذر، موظفةً ألفاظاً توصيفية دقيقة توحى عبر حقلها الدلالي تارةً إلى الاصطياد والمكيدة للأنثى وتارةً إلى التآجير في أسلوب تبادلي تجاري.

إنّ الحديث عن الهيمنة الذكورية مقرونةً بالجندر في الدراسات النسوية يُؤسّس إلى تصحيح الفهم حول الرجل والمرأة من خلال النوع البيولوجي والنوع الاجتماعي، فالهيمنة مورست على المرأة بكل تمفصلاتها من دعوى أنّ الرجل يتميز عن المرأة في كثيرٍ من الرُتب والمقامات لكن، مع مجيء النقد النسوي والنقطن كيف فُسر النوع البيولوجي وفروقاته في المجتمع نشأت التوجهات الجندرية في دعوى منها إلى المساواة بين الرجل والمرأة فيما تعلق بحفظ الكرامة وممارسة الحياة الاجتماعية والثقافية دون قيد بيولوجي، لكن عبر المجال الثقافي الذي تم التطرق إليه خرج مفهوم الجندر من هدف التخلص من الهيمنة الذكورية على المرأة إلى السعي إلى إذابة كل الفروقات البيولوجية بين الجنسين وهذا ما عرج بنا إلى قضية عمق من أن يُناقشها تساؤلنا النقدي الثقافي وهي قضية المثليين الذين نظروا للجندر على أنه تدويب كل الفروقات ودخول جنس في جنس آخر تحت مسمى الحرية الجندرية.

3. المجال الديني والثنائية أنوثة/ذكورة.

إنّ أول ما بدأ به الاتجاه النسوي المطالبة بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية والسعي إلى تخليصها من أشكال الهيمنة الأبوية التي تتطوي تحتها العديد من القضايا المثيرة للجدل كالقوامة وتعدّد الزوجات والحجاب وغيرها، ولعلّ أهم ما فتح باب السجال الطويل في الدراسات النسوية موضوع الحجاب كنسق ديني بالدرجة الأولى ثم كانعكس اجتماعي يُفسّر الكثير من القضايا المغلوطة حول ثنائية المرأة والحجاب التي مهّنت لأرضية جديدة تركز لنوع آخر من الهيمنة والتبعية ضدّ المرأة كان منطلقها الفهم الخاطئ للدين.

1.3 الحجاب عند المرنيسي ومساءلة الدين عن الهيمنة الذكورية.

تعتبر "هدى الشعراوي" أول عربية مصرية تنزع الحجاب وتقود مظاهرات لمناهضة النسوة سنة 1944 أقامت مؤتمراً عربياً تطرقت من خلاله إلى قضايا الطلاق وتعدد الزوجات بين الدين والمجتمع والدعوى إلى الحد من سلطة الولي والمساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق وبالرغم من كل الاعتبارات، والفكر النسوي كشف لنا عن مشكلة السلطة الأبوية والتمييز بين الرجل والمرأة القائم على فكرة النوع الاجتماعي وما نتج عنه من إبعاد وتغيب للمرأة من مناحي مختلفة من الحياة، وأهم ما يلفت النظر في الدراسات النسوية العربية محاولة مجموعة من النسويات المزوجة بين طروحات النسوية الغربية ومقاربتها مع التفسير الدينية لينتج بذلك خطاب نسوي ببعد ديني ينظر للمرأة بصيغة جديدة ويصحّ المفاهيم الخاطئة التي استقبلها الرجل من الدين ومارس من خلالها سلطته المطلقة على المرأة وكأن الدين الإسلامي ضمن كل الحقوق للرجل وغيب المرأة معتبراً إياها عنصراً ثانئياً تابعاً للرجل، «..سوى تبرير لوعي فردي يخفي في المقدس من أجل التسدّر على وعي اجتماعي عام كانت وراءه الرغبات الفردية في الاستفراد بالمرأة وامتلاكها» (بن كراد، 2013، الصفحة 03) بمعنى: جلى القضايا المطروحة في الدين الإسلامي المنّدة بالحفاظ على المرأة وصيانة حقوقها وكرامتها استقبلها الرجل بمنظومة فكرية خاطئة، تشجّع على استمراره في قمع المرأة وكأنه وجدّ التبرير لكل ما يقوم به، من بين هذه المعطيات الدينية الحجاب الذي تحوّل من معطى ديني يهدف إلى الحفاظ على المرأة وصيانة كرامتها إلى نسق اجتماعي يُمارس الرجل من خلاله هيمنته وسلطته على المرأة بإخضاعها وقطع صلتها بالعالم الخارجي، ومن أهم الباحثات النسويات في العالم العربي "فريدة المرنيسي" التي وقفت موقف الرافض لكل التأويلات الخاطئة للدين خاصة فيما تعلق بالمرأة، فنجد لها مجموعة من الكتب سعت من خلالها إلى قراءة الظواهر الاجتماعية التي تعيش فيها المرأة ومقاربتها مع

النصوص القرآنية والسنة والاستناد إلى مجوع التفسير، لإمطة سوء الفهم حول ما وضعه الإسلام من قوانين يدعو من خلالها إلى صيانة المرأة بكل تدرجاتها. وقد تكلمت حول موضوع الحجاب في كتابها حريم السلطان بنوع من التفصيل والإطناب المعرفي.

2.3 نوال السعداوي... الأخلاق هي من تؤسس للهيمنة الذكورية.

إذا تحدثنا عن الأخلاق ومجموع تلك القيم التي رسمت حدود المرأة وفرضت القيود عليها مقارنة بالرجل نعتبرها غير منطقية وموضية لنظام طبقي أبوي بالدرجة الأولى، وفي السياق نفسه تذهب الباحثة "نوال السعداوي" بالقول إن: «المقاييس الأخلاقية التي يضعها المجتمع يجب أن تسري على جميع أفراد بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو الطبقة» (السعداوي، 1992، الصفحة 23) بمعنى: الأخلاق كنظام يقوم عليه المجتمع وكعامله تؤسس للعلاقة بين النوعين (الرجل والمرأة) يجب أن تكون عادلة مبنية على الكرامة والمساواة في ممارسة الحياة اليومية دون قيود مسبقة تحتقر المرأة وبالمقابل تُثني على الرجل انطلاقاً فقط من مقياس النوع الاجتماعي، وترتبط "نوال السعداوي" قضية الشرف بين الرجل والمرأة من خلال الأخلاق، فالشرف عند المرأة مقروناً دائماً بأخلاقها وأخلاقها تتمثل في عذريتها التي وإن فقدتها وتحت أي ظرف هي امرأة دون أخلاق وبالتالي دون شرف، بالمقابل هذا التقدير لا يُمارس على الرجل خاصة في مجتمعاتنا العربية لأنه ببساطة رجل، هنا تتدخل الخصوصيات السوسيوقافية لترتبط لنا العلاقة بين النوع البيولوجي والجنس، وهذا التقييم عند "نوال السعداوي" تقييم تعسفي ظالم خادماً للسلطة والهيمنة الذكورية على المرأة معتبرة إياه زيفاً أخلاقياً «الزيف في الأخلاق السائدة وأهمها مقياس العذرية» (السعداوي، 1990، الصفحة 33) واعتبارها لمقياس العذرية أنه زائف تقديراً منها بأنه تطور المجال الطيّ باستطاعتنا تعويض ما فقدته المرأة من عذرية ليكون السؤال هنا هل نعتبر المرأة التي

لجأت للطب في استرجاع عذريتها امرأة متخلقة؟ من هنا كانت معادلة العذرية والأخلاق زائفة.

4. خاتمة:

انطلاقاً مما سبق مناقشته في هذه الورقة البحثية استنتجنا ما يلي:
النسوية كوجهة نظر في بدايتها كانت الشرارة الأولى لإصرار المرأة العربية على إسماع صوتها.

ينطوي الأدب النسوي على إشكالات عميقة ارتبطت بالمرأة في المقام الأول.
استفادت النسوية ما بعد الكولونيالية من الطروحات المنهجية التي ثارت عن كل ما هو سلطوي مركزي يستمر في أن يكون مهيم باديولوجياته على الهويات والثقافات الإنسانية.
العنف الموجه ضد المرأة هو عنف واحد في جميع الأقطار العربية وهو حقيقة لا غبار عليها، فكانت الكتابة النسوية الإطار الأكثر تجلياً للعنف، بدايةً بالايطار الداخلي الأسرة، ثم الفضاء الخارجي وهو المجتمع.

استطاعت رواية "تاء الخجل" أن تصور لنا المفاهيم المتضاربة في فكر الكاتبة حول قيمة الحياة وما تراه من إحفاف في مجتمعها الظالم للمرأة المقدسة للرجل.
ترصد الرواية النسوية معاناة المرأة في المجتمع وسلطة الرجل المطلقة عليها.
تعمّلت المرأة إلى تفكيك مقولة الذكورة الزائفة المتعالية والساعية لجعل المرأة تابعة.
تعتبر الكاتبة "أحلام مستغانمي" خير نموذج للكتابة النسوية ناهضت من خلالها العنف والعنف الممارس ضد المرأة.

تناولت رواية ذاكرة الجسد وفوضى الحواس العديد والسلوكيات المرتبطة بالتقاليد والأعراف في المجتمع العربي عموماً.

تأتي رواية "بغايا وسلطان" مؤكدةً لنا أن النظرة المنتقصة للمرأة كونها امرأة لا تقتصر على مجتمع دون آخر، فالمجتمع اللبناني وإن كانت ثقافته ودياناته متعددة ومختلفة إلا أن نظرتة للمرأة بقيت مشتركة مع جميع المجتمعات العربية.

5. قائمة المراجع:

- إبراهيم عبد الله. (2002). السرد النسوي، الثقافة الأبوية الهوية الأنثروبولوجية والجسد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أميمة أبو بكر، شرين شكري. (2002). المرأة والجنس إلغاء التمييز بين الجنسين (الإصدار الطبعة الأولى). لبنان: دار الفكر المعاصر.
- آنيا لومبا. (2007). في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية (الإصدار الطبعة الأولى). (محمد عبد الغاني عنوم، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- خلود السباعي. (2023). الجسد الأنثوي وهوية الجنس (الإصدار الطبعة الأولى). جداول للطباعة والنشر.
- بن كراد سعيد (2013). وهج المعاني السيميائيات الأنساق الثقافية (الإصدار الطبعة الأولى). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- سيمون دي بوفوار. (1997). الجنس الآخر. (محمد علي شرف الدين، المترجمون) بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر.
- غياتري سبيفاك. (1988). دراسات التابع. القاهرة: الجامعة الأمريكية.
- الفاروق فضيلة. (2002). تاء الخجل. الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- ماري إيغلانتون. (2016). نظرية الأدب النسوي (الإصدار 2016). (عدنان حسن ورنا باشور، المترجمون) دار الحوار للنشر.
- مجلة مثاقفات. (2023). بريطانيا.
- ميشال فوكو. (بلا تاريخ). تاريخ الجنسانية إرادة العرفان (الإصدار دون طبعة). الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- السعداوي نوال. (1990). المرأة والجنس ضمن دراسات عن المرأة والرجل (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- السعداوي نوال. (1992). معركة جديدة في قضية المرأة (الإصدار الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: سينا للنشر.
- عيد هدى. (2016). سلطان وبغايا (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت: دار الفرابي للنشر.